وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ/ماجستير حديث

التطورات الداخلية والخارجية في بروسيا
١٨٦٦-١٨٧١

اعداد
الأستاذ الدكتور
ليث محمد ابراهيم

العام الدراسي
٢٠٢٥/٢٠٢٦

اولا :الأوضاع الداخلية في بروسيا ١٨٦٦- ١٨٧١:

١- :الأوضاع السياسية الداخلية:

تولَّى أوتو فون بسمارك في ٢٣ ايلول ١٨٦٢ رئاسةَ الوزاراء ووزارة الخارجية معاً بتكليفٍ من الملك وليام الأول، فبات المهندسَ الفعلي للسياستين الداخلية والخارجية، وقد تميَّزت رئاسته بسيطرته على مقاليد الحكم وعُرفت سياسته بـ (سياسة الدم والحديد)، حيث أعلن في خطابه الشهير أمام البرلمان أن المسائل الكبرى لا تحسم بالخطب والقرارات البرلمانية، بل بالدم والحديد.

وواجه بسمارك خلال المدة ١٨٦٢ و١٨٦٦م أزمةً دستوريةً حادةً في البرلمان البروسي الذي رفض الاعتمادات المالية اللازمة لإصلاح الجيش، فلجأ إلى حيلة قانونية ذكية تمثلت في مبدأ (فجوة المصلحة)، مؤكداً أن الحكومة تستطيع الإنفاق من دون موازنة مصادق عليها حين يعجز الدستور عن حلِ الخلاف بين السلطتين التنفيذية والتشريعية.

وبعد انتصار بروسيا على النمسا ٢٧ حزيران ١٨٦٦ أعلن بسمارك عزمه على التصالح مع المعارضة البرلمانية، فطلب من البرلمان في ٣ اب ١٨٦٦ إقرار قانون (التعويض عن الأضرار) الذي منح الحكومة عفواً بأثر رجعي عن إنفاقها غير القانوني في السنوات الماضية، وقد وافق البرلمان على هذا القانون بأغلبية كبيرة في ٥ اب ١٨٦٦ مما أنهى الأزمة الدستورية وأعاد للحكومة شرعيتها.

أما اتحاد ألمانيا الشمالية الذي أُسِس في ١٦ نيسان ١٨٦٧ فقد جاء بدستور جديد وضعه بسمارك بنفسه، يُبقي على صلاحيات واسعة للمستشار الاتحادي وللملك الذي بات رئيساً للاتحاد بصفةٍ وراثية، وكان هذا الدستور مُقدمةً للدستور الألماني الإمبراطوري لعام١٨٧١ م.

كما شهدت المرحلة بين ١٨٦٦ و١٨٧١م توطيداً لعلاقة مميزة بين وليام الأول وبسمارك، إذ أدار الأخير شؤون الدولة بحرية شبه مطلقة، في حين احتفظ الملك بسلطته الرسمية في القرارات الكبرى، وكان وليام الأول يثق بوزيره ثقةً كبيرة، وإن كانت بينهما خلافاتٌ أحياناً في تقدير حجم المطالب الموجهة للمنهزمين.

٢- :الأوضاع الاقتصادية:

-الاتحاد الجمركي ودوره في التطور الاقتصادي:

وقف الاتحاد الجمركي الألماني (الزولفيراين) الذي نشأت بذوره على يد المفكر الالماني فريدريش ليست في ٢٢ اذار ١٨٣٣ ركيزة اقتصادية أساسية دعمت هيمنة بروسيا على الشأن الألماني، فبحلول عام ١٨٦٦ كانت الأسواق الألمانية كلها تقريبا موحدة جمركياً تحت القيادة البروسية، مما هيَّأ بيئةً مواتية للتصنيع والتجارة، وقد أُعيد تنظيم الاتحاد الجمركي في تموز ١٨٦٧ ليشمل دول اتحاد ألمانيا الشمالية.

-الثورة الصناعية في بروسيا:

كشفت أرقام الإنتاج الصناعي البروسية في مطلع عام ١٨٦٧ عن نمو كبير، فقد وصل إنتاج منطقة الرور من الفحم الحجري إلى ٥.١٦ مليون طن، وهو رقم يعكس تضاعفاً شبه كامل مقارنةً بعام ١٨٦٠ الذي لم يتجاوز فيه الإنتاج ٤.٨ ملايين طن، وارتبط هذا النمو ارتباطاً عضوياً بتوسع شبكة السكك الحديدية التي جعلت نقل الفحم بتكلفة متدنية أمراً ممكناً على الصعيد التجاري.

كذلك شهد قطاع الحديد والصلب طفرة مماثلة، ففي عام ١٨٦٧، بلغ إنتاج الصلب البروسي ٢.١ مليون طن، بارتفاع حاد من ٦٠٠ ألف طن عام ١٨٦٠، وكانت ثلاثة مراكز صناعية تُهيمن على هذا الإنتاج :إيسن وبوخوم، وزيغن في منطقة وستفاليا، وإلى جانب الصلب، ارتفع إنتاج الزنك من منطقة سيليزيا بنسبة ٧٠٪ بين عامي ١٨٦٠ و١٨٦٧.

وفي اذار ١٨٦٧، أصدر البرلمان الشمالي الألماني حزمة من قوانين العمل التي مثلت خطوة كبيرة نحو التحديث فقد أُلغيت بموجبها آخر قيود نظام النقابات الحرفية القديمة، والسماح بحرية التنقل الوظيفي بين الدويلات الأعضاء في الاتحاد، مما ادى إلى تدفق العمالة الريفية نحو المراكز الصناعية الكبرى.

وكان لهذا التدفق البشري أبعاد اقتصادية واجتماعية متشعبة :فمن جهة، أمدَّ المصانع بالأيدي العاملة التي تحتاج إليها؛ ومن جهة أخرى، تضخمت المدن تضخماً سريعاً أفرز ضغوطاً اجتماعية حادة، فنمت مدينة برلين من نحو ٤٥٠ ألف نسمة عام ١٨٦٥ إلى ما يقارب ٧٠٠ ألف نسمة عام ١٨٧٠، أي بزيادة نسبتها أكثر من ٥٥٪ في أقل من خمس سنوات.

رافق هذا التحضر الحاد ظهور فئة العمال المأجورين الصناعيين كمكوِّن اجتماعي بالغ الأثر، وقد وصف المؤرخ الاقتصادي ولهيلم روشر هذه المرحلة بأنها "مرحلة التحول من مجتمع الأرض إلى مجتمع الحديد"، إذ انتقل مركز ثقل الاقتصاد الألماني من الأرياف الزراعية إلى المدن الصناعية في غضون جيل واحد.

وحققت بروسيا قفزات صناعية هائلة، فقد ارتفع إنتاج الفحم الحجري في حوض الرور ارتفاعاً حاداً، وبلغت شبكة السكك الحديدية البروسية عام ١٨٧٠ نحو ١١,٥٠٠ كيلومتر، مما أتاح نقل القوات والإمدادات العسكرية بسرعة غير مسبوقة، وقد أسهمت مصانع كروب للصلب في إيسن إسهاماً مباشراً في تزويد الجيش بالمدفعية الفولاذية المتطورة التي غيَّرت موازين الحروب.

وأسهم ضم سيليزيا الجنوبية وهولشتاين وهانوفر وهيس كاسل وناساو وفرانكفورت في أعقاب حرب ١٨٦٦ في توسيع الرقعة الاقتصادية البروسية توسيعاً ملحوظاً، إذ أضافت هذه الأقاليم صناعات وموارد طبيعية وأسواقاً جديدة، وفي عام ١٨٧١ ، أضافت التعويضات الفرنسية الباهظة البالغة خمسة مليارات فرنك دفعة قوية للاقتصاد الإمبراطوري الوليد.

٣- :الأوضاع الاجتماعية:

كان عدد سكان المملكة البروسية في مطلع عام ١٨٦٦ يبلغ نحو ٣.١٩ مليون نسمة، موزعين بين الريف والمدينة توزيعاً غير متكافئ؛ إذ كان ما يقارب ٦٤٪ منهم لا يزالون يقطنون الأرياف ويعملون في الزراعة وما يرتبط بها من حرف، وكانت هذه النسبة في تراجع مستمر أمام موجة التمدين الصناعي المتسارعة، غير أن سرعة هذا التراجع كانت تتفاوت تفاوتاً كبيراً بين المقاطعات الغربية الصناعية والمقاطعات الشرقية الزراعية.

وكان المجتمع البروسي يتألف من طبقات متمايزة تمايزاً حاداً :في القمة نخبة اليونكر وهم ملاك الأراضي الأرستقراطيون، الذين يُشكِلون أقل من ٢٪ من السكان لكنهم يمتلكون نحو ٤٥٪ من الأراضي الزراعية شرق نهر الإلبه، وتحتهم طبقة وسطى صاعدة تضم التجار والمحامين والأطباء والمهندسين، ثم الحرفيون والعمال في المدن، وفي القاع الفلاحون وعمال المزارع الذين كانوا حتى وقت قريب مرتبطين ارتباطاً شبه إقطاعي بأرباب الأرض.

وكان يُضاف إلى هذا المشهد المعقد التنوع الديني والعرقي الذي طبع بروسيا بطابع خاص : فثلثا السكان بروتستانت لوثريون، والثلث الآخر كاثوليك، يتمركزون بصورة رئيسية في مقاطعة الراين ووستفاليا، كما كانت ثمة أقلية يهودية يبلغ عددها نحو ٣٦٠ ألف نسمة، تتركز في المدن وتضطلع بدور محوري في التجارة والصيرفة والمهن الحرة، وكانت هذه التعددية مصدراً دائماً للتوترات الاجتماعية والسياسية.

ونشرت جمعية التحقيق الاجتماعي الألمانية في اذار ١٨٦٨ تقريراً مفصَّلاً عن ظروف العمل في مناجم الرور ومصانع الصلب، وكشف التقرير أن متوسط ساعات العمل اليومية كان يتراوح بين ١٢ و١٤ ساعة في معظم المنشآت، دون أي استراحة تُذكر، وفي ظروف بيئية بالغة القسوة :حرارة مرتفعة جداً في مصانع الصهر، وضجيج صاخب مستمر، وغبار معدني يملأ الرئتين تدريجياً.

وكان الأطفال جزءاً لا يتجزأ من قوة العمل الصناعية، فقد أشار التقرير ذاته إلى أن ما لا يقل عن ١٢٪ من عمال مناجم الفحم كانوا دون سن الرابعة عشرة، يعملون في استخراج الفحم من الأنفاق الضيقة التي لا يستطيع الكبار التسلل إليها، وكانت إصابات العمل شائعة جداً في غياب أي اشتراطات سلامة مهنية، وكان الاعتراف القانوني بمسؤولية صاحب العمل عن الإصابات لا يزال في طور التشكيل.

أما الأجور، فكانت تتفاوت تفاوتاً حاداً بين القطاعات والمناطق .ففي مناجم الرور عام ١٨٦٨، كان العامل الماهر يكسب نحو ٥.١ تالر يومياً، في حين لا يزيد دخل العامل غير الماهر على ٧.٠ تالر، وكان هذا يعني أن أسرة عمالية مكونة من أربعة أفراد تعيش على حافة الكفاف، إذ كانت تكاليف الطعام والإيجار والوقود تستنزف الجزء الأكبر من هذه الأجور دون أن يبقى شيء للادخار أو مواجهة الطوارئ.

ثانيا :الحروب الخارجية الكبرى:

١- :الحرب البروسية - النمساوية عام١٨٦٦

تعود جذور الحرب البروسية - النمساوية إلى التنافس العميق الجذور بين القوتين على قيادة ألمانيا، والذي تصاعد حدةً بعد ثورات ١٨٤٨ فقد حرصت النمسا على استمرار هيمنتها في إطار الاتحاد الألماني الذي نشأ عام ١٨١٥ ، في حين كانت بروسيا تسعى إلى استبدال هذا الاتحاد باتحادٍ ألماني أصغر تكون هي ربانه.

وأعلنت الدنمارك في ٢٨ تشرين الاول ضم إمارة الشليسفيغ رسمياً، مما أثار أزمةً قوميةً ألمانيةً حادة، وفي ٣١ تشرين الاول ١٨٦٤ ، وقَّعت الدنمارك على معاهدة فيينا التي تنازلت بموجبها عن دوقيتَي شليسفيغ وهولشتاين لبروسيا والنمسا معاً، وقد أفضت الإدارة المشتركة لهاتين الإمارتين إلى احتكاكاتٍ متواصلةٍ بين الشريكين.